سيرة العالم الدكتور نوري جعفر

عالم في التربية وعلم النفس ورائد في التنوير والاصلاح



واقعتان مهمتان

شهد عام ١٩٥٤ حدثين مهمين في تاريخ العراق اولهما كان فيضان بغداد الذي وقع نهاية اذار من ذلك العام، والثاني هو حادثة تزوير الانتخابات البرلمانية التي اقدمت عليها حكومة نوري السعيد حيث الغت نتائج فوز اكثر من ١١ مقعدا للقوى اليسارية والديمقراطية ،وما حدث للعلامة د. نوري جعفر في دائرة مدينته القرنة الانتخابية يعد مثالا صارخا لهذا التزوير.

عام ١٩٦٣ اذ فصل من وظيفته ظلما في قائمة ضمت اكثر من ١٠٠ استاذ في مختلف التخصصات العلمية والانسانية لاسباب سياسية

توفيق التميمي

القسم الثاني

عندما عمدت حكومة نوري السعيد لتحطيم صناديق الاقتراع التي امتلات باسم الدكتور نوري جعفر المرشح عن دائرة مدينته القرنة مع زميله اليساري (عامر الحسك) واستبدلتهما بالتزوير بمرشحيهما وهما اصلا من خارج قضاء المدينة ،الا ان نوري جعفر لم يستسلم وهو الموظف الحكومي الحاصل على شهادة الدكتوراه من الولايات المتحدة الامريكية وبأختصاص نادر في العراق ،فملأ صفحات الصحف بالاحتجاج على فضيحة التزوير وعار الغاء الانتخابات حتى تم استدعاؤه من قبل رئيس الوزراء آنذاك ارشد العمري ودار بينهما حوار متشنجا و تاريخيا يكشف شجاعة ووطنية نوري جعفر ،وتم فصل نوري جعفر من وظيفته التعليمية عقب هذه المحاورة التي طلب فيها العمري من جعفر ان يكف عن مقالاته الانتقادية للحكومة في الصحف وفضحه لعملية تزوير الانتخابات ، الا ان العالم نوري جعفر رفض تلك المساومة حتى لو كان الثمن خسارة وظيفته , وعبر عنها جعفر (ساواصل الكتابة في الصحف لأشرح مأساة القرنة الأنتخابية ولتفعل الحكومة ما تشاء).

عام ١٩٦٣ اذ فصل من وظيفته ظلما في قائمة ضمت اكثر من ١٠٠ استاذا في مختلف التخصصات العلمية والانسانية لاسباب سياسية ، وليكون عرضة للظروف القاسية التي مرت في العقود الماضية وتحت ضغوط عديدة منها ماهو سلطوي مباشر فاجبر على الهجرة والتدريس في الجامعات التالية:

أستاذ ورئيس قسم علم النفس في كليتي التربية والشريعة بمكة - المملكة السعودية - ١٩٦٤

أستاذ ورئيس قسم علم النفس في كلية الأداب في بنغازي - ليبيا ١٩٦٥-١٩٦٩

أستاذ ورئيس قسم علم النفس في كلية الأداب في الرباط - المملكة المغربية ١٩٧٠ - ١٩٧٣

أستاذ زائر في علم النفس بجامعة شفيلد البريطانية - المملكة المتحدة ١٩٧٤

أستاذ متمرس في كلية التربية جامعة بغداد ١٩٧٥ - ١٩٨٣ أستاذ محاضر في كلية الأداب - جامعة الكويت ١٩٧٧

أستاذ محاضر في جامعة مونتريال ١٩٨٣

أستاذ محاضر في جامعة بوردو الأمريكية ١٩٨٤

أستاذ الدراسات العليا قسم علم النفس في جامعة الفاتح - ليبيا ١٩٩١

تلميذه يتذكر - مغنية الحي لا تطرب لاتمر ذكرى نوري جعفر في ذاكرة وخاطر تلميذه النجيب الدكتور نجم حيدر استاذ الدراسات العليا في علوم الجماليات في اكاديمية الفنون الجميلة حاليا الا ويردد مقولة (مغنية الحي لاتطرب) مخلوطة ببكاء مر على غياب استاذه الذي رحل عن الحياة بعد ان ترك عشرات من القصص والدروس في روح تلميذه الذي تحولت حياته النزقة بعد لقائه باستاذه الى حياة تبحث عن المعاني الكبيرة والمضامين الانسانية الرفيعة ، يقول نجم حيدر : طلب مني نوري جعفر ان اعمل بحث لأطروحتي عن بافلوف. وقمت بعمل المطلوب مستعينا بمصادر متنوعة أضافة لكتاب نوري جعفر (طبيعة الأنسان في ضوء فسلجة بافلوف) وعند تقديمي البحث له أخذ نوري يشطب بعلامة X على كل المصادر عدا مصدره. فقلت له بأستغراب: لما مصدرك دون المصادر الأخرى؟ أجابني: ما تقصد؟ قلت: وكأنك تحمل عقلية بافلوف؟ لم يجبني ولكنه طلب مني ان ألتقيه صباح اليوم التالي في المكتبة المركزية. وبالفعل ألتقينا هناك وسألني ان اجمع كل الكتب المتواجدة باللغة الأنكليزية عن بافلوف, وبالفعل قمت بتجميع حوالي عشر كتب لمؤلفين أنكليز وأمريكان وقال لي: افتح صفحة المصادر وأقرأ أسم الكاتب الذي استندوا عليه في مولفاتهم. ولعجبي ان يكون أسم نوري جعفر هو في اول قائمة مصادرهم, وشعرت بالخجل وأعتذرت له عن تعليقي بالأمس. فأبتسم قائلا: مغنية الحي لا تطرب. بشهادة الغرب مؤلفات نوري جعفر وبحوثه العلمية المتجددة في طبيعة الأنسان في ضوء فسلجة بافلوف تعتبر مرجع ومصدر للباحثين في بريطانيا وأمريكا. يضيف نجم أن رفقته مع نوري جعفر رفقة مع كل المبادئ والقيم التي تمثلها عبر حياته طالبا واستاذا ، فكانت لي فرصة عظيمة قلما تتاح لاحد من الطلاب ، تعلمت منه دروسا تربوية اكثر مما تعلمته من دروس علمية كان يمليها علي بين الحين والاخر ، ليكون نجم حيدر صاحب الحظ الكبير في كونه الطالب الوحيد الذي وافق الدكتور جعفر الاشراف على رسالته في علم فلسفة الجمال. الاب المثالي نوري جعفر يصف نفسه (انا رب عائلة اب وأم وصديق وحارس وفي)

تقول ابنته الصغرى نجود اصبح ابي لنا الام والاب في آن واحد ، اشعرنا بحنان ورعاية لامثيل لها ليملأ فراغ رحيل والدتنا في ١٩٧٥ بطريقة لايمكن وصفها ، محتضنا لنا بحبه الوفي. لقد جند حياته وضحى بما تبقى من عمره لعلمه ولنا كما كان يكرر على مسامعنا :امكم تركتكم امانة .

من خلال قراءاتي لمؤلفاته المتنوعة , صب جل أهتمامه من عام ١٩٦٢ في (نروسايكلوجي) وهو فرع جديد من علم النفس يستند الى علوم الدماغ أو علم الأعصاب . تبحرت بأفكاره وبحوثه العديدة, وأخص بالذكر كتابه الغير مطبوع (بحوث غير منشورة) وحيازته على جائزة المجلس الدولي لرعاية الموهوبين في ١٩٨٣. على أمل وأطمح أن يطبع لتعم الفائدة. يقول نوري جعفر في المقدمة : وأنه ليسرني كثيراً أن أعلن في هذه المناسبة (من باب الاعتزاز لا التبجح) أنني العراقي الوحيد وربما في عموم البلاد العربية المهتم بعلم النفس الجديد ومضامينه التربوية البالغة الأهمية. كما أن البحث الذي أضعه الآن بين يدي القارئ هو الأول من نوعه الذي يكتب باللغة العربية على ما أعلم بهذا الشكل الشامل الدقيق وهو حصيلة جهد فكري مضن استغرق اكثر من عشرة سنوات طلعت أثناءها أمهات كتب علم النفس باللغة الانكليزية والمترجمة أنها أيضا بدأت بواكير هذا البحث في بداية عام ١٩٧٠، وتبلورت في عام ١٩٧٤، عندما أجريت دراسة مسهبة في جامعة شفيلد البريطانية ونشرت باللغة الانكليزية كتابي الذي ترجمة عنوانه (الإبداع وآليات الدماغ) والذي توصلت فيه إلى آراء علمية جديدة أوضحت بعضها بايجاز في محاضرة ألقيتها في المؤتمر الدولي الأول لرعاية الموهوبين الذي عقد في انكلترا عام ١٩٧٥، ثم شرحت تطبيقاتها في مجال العلوم الطبيعية النظرية والرياضيات في محاضرة ألقيتها في المؤتمر الدولي الثاني لرعاية الموهوبين الذي عقد في الولايات المتحدة عام ١٩٧٧. وتناولت بعد ذلك -تطبيقاتها في حقل الأدب والفن في محاضرة ألقيتها في المؤتمر الدولي الثالث لرعاية الموهوبين الذي عقد في كندا عام ١٩٨١، وإنني الآن بصدد تهيأة محاضرة لاشرح فيها تطبيقات تلك الآراء في مجال التكنولوجيا لالقيها في المؤتمر الدولي الرابع سوف يعقد في الفلبين عام ١٩٨٣)) . حاز على جائزة المجلس الدولي لرعاية الموهوبين ١٩٨٣

رحل عنا عام ١٩٩١ عن عمر يناهز ال٧٧ اثر سكتة قلبية، فكان مصابا بالزكمة في تلك الفترة وكنا معه (انا وخلود واخي علي) وقبيل نومه بدقائق طلب منا علينا بالكتابة نيابة عنه ويردد بالحاح (بابا أكتبوا بسرعة قبل ما أروح) ،بعد استلقائه على الفراش احسست خلود بتوقف تنفسه وعم السكون المكان فقد رحل عنا ..ولم افهم انذاك ان توسله بنا في الكتابة لانه سيرحل ولم يتسن له ترك علمه حتى لحظاته الاخيرة).

أبي موسوعة علمية وأدبية يحمل رسالة أنسانية عميقة, يخترقني بتواصله الروحي وبكل الأتجاهات ليكون قدوتي في الحياة وبدون رياء.

هنا يجدر الأشارة بعدم صحة القصة التي روجت لها بعض مواقع الانترنيت ووسائل الاعلام التي تتحدث عن نهاية مزعومة في مقتله على يد سائق ليبي ، والتي لااساس لها من الصحة

تاملات في مؤلفاته

لم يكن نوري جعفر استعراضيا في كتبه او خاضعا لتهديد او اغراء من جهة سلطوية او تمويلية ،بل كانت مؤلفاته تنطلق من دوافعه الذاتية العلمية الخالصة ومدى الحاجة اليها تربويا و علميا وثقافيا في المكتبة العراقية.

أصداراته في فلسفة التربية والتاريخ وكتابه عن العلوم الطبيعية الذي نال جائزة المجمع العلمي العراقي عام ١٩٥٥.

ومن هنا ياتي احد اسباب تغييب ذكر هذا المبدع الموسوعي في المحافل و غيابه عن محافل التكريم من قبل السلطات الحاكمة وترحاله المستمر تحت الظروف الضاغطة لمواصلة دوره التربوي والتعليمي في امكنة وازمنة خارج بلاده .

وحتى الكتب التي تم تاليفها زمن سطوة رقابة وزارة الاعلام الصدامي الشديدة انحصرت غاياتها في ترميم الخراب النفسي والتربوي اللذين لحقا بالشخصية العراقية من جراء الحروب وما صنعته ثقافة اجهزة الاعلام من مفاهيم العسكرة والتعبئة الطارئة على ثقافة العراقيين وما افسدته نظم تربية البعث المؤدلجة من اخلاقيات وقيم في النشئ الجديد .

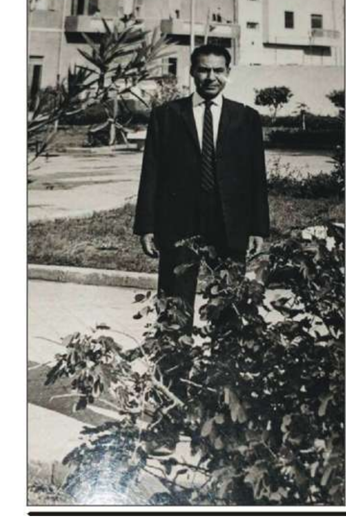
> تقول ابنته الصغرى نجود اصبح ابي لنا الام والاب في آن واحد ، اشعرنا بحنان ورعاية لامثيل لها ليملأ فراغ رحيل والدتنا في ١٩٧٥ بطريقة لايمكن وصفها



> لم يكن نوري جعفراستعراضيا في كتبه او خاضعا لتهديد او اغراء من جهة سلطوية او تمويلية بل كانت مؤلفاته تنطلق من دوافعه الذاتية العلمية الخالصة ومدى الحاجة اليها تربويا وعلميا وثقافيا في المكتبة العراقية







الدكتور نوري جعفر
وآراؤه التربوية والنفسية والاجتماعية
الدكتور
نجاح هادي كبة